حسن سرباز*

# نظرية الأدب الإسلامي وتطوّرها في الأدب العربي المعاصر

(الصفحات ١٤١- ١٦٠)

## الملخّص

الأدب الإسلامي باعتباره مادة أدبية ونصوصًا شعرية ونثرية تصوّر روح الإسلام وتعبّر عن هموم المسلمين وآمالهم كان موجودًا في الأدب العربي منذ صدر الإسلام إلى اليوم، ولكن الأدبا الإسلامي كمصطلح أدبي لم يطلق في تاريخ الأدب العربي إلاّ على أدب صدر الإسلام.

و في خمسينيات القرن العشرين وفي إطار الصحوة الإسلامية ومحاولة العودة إلى الذات، ظهر مصطلح «الأدب الإسلامي» متميّزًا في المصطلح والمضمون ليطلق على كل أدب ينبع عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان في أيّ عصر من العصور.

و لعلّ أول من أطلق مصطلح «الأدب الإسلامي» بمعناه الواسع ودعا إليه كمذهب أدبي هو الأديب الناقد سيد قطب في مقال له بعنوان «منهج الأدب الإسلامي» سنة ١٩٥٤، ثم أتبع هذه الفكرة كل من محمد قطب، ونجيب الكيلاني، وعماد الدين خليل وغيرهم من النقاد.

و تهدف هذه الدراسة بالاستفادة من المنهج الوصفي- التحليلي إلى دراسة نشأة مصطلح «الأدب الإسلامي» في الأدب العربي الحديث كمذهب أدبي وبيان مفهومه على ضوء ما جاء في دراسات النقاد والمنظّرين للأدب الإسلامي.

---

* - أستاذ مساعد بجامعة كردستان.

### ١- المقدمة

إن الأدب الإسلامي باعتباره مادة أدبية ونصوصًا أدبية شعرية ونثرية تصوِّر روح الإسلام وتعبِّر عن الفكر الإسلامي وتفصح عن هموم المسلمين وآمالهم، كان موجودًا منذ أن أشرق روح الإيمان في قلب شعراء الرّسول(ص) ونزل القرآن الكريم.

ففي صدر الإسلام نجد نماذج كثيرة للشعر الإسلامي الملهم من كتاب الله تعالى في ديوان حسان بن ثابت الأنصاري وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك الأنصاري والنابغة الجعدي وغيرهم من الشعراء.

وفي العصر الأموي، وإن كان الأدب قد عاد إلى القيم الجاهلية من غزل فاحش وهجاء مقذع ونقائض وعصبيات قبلية، فهذا لا يعني أن الأدب كلّه قد ارتكس وابتعد عن المفاهيم الإسلامية، «فقد ظلّت جوانب كثيرة منه بعيدة عمّا آلت إليه قصيدة الغزل المبتذل والنقائض، وظهر تيار شعريّ غنيّ بالتصورات الإسلامية، فشعر الفرق السياسية (خاصّة الزبيريين والعلويّين) - على الرغم من تفسيراته القبلية والسياسية –له ارتباطات قوية بالعقيدة الإسلامية، لأنّ هذه الفرق على اختلاف وجهات نظرها كانت تصدرعن تفسير خاص لنظرية الخلافة، وتحتجّ بالقرآن والسنّة وتلوذ بأرضية إسلامية، وتعتقد أنها في الموقع الصحيح، سواء من كان منها مصيبًا في تفسيره أو مخطئًا» (بدر، ١٩٨٥، ص ١٠٣).

وفي العصرالعباسي، نقف على تيّارشعري يقوده أبو العتاهية، يدعو فيه إلى الزهد والالتزام بالتقوى والعمل الصالح، ويعظ الناس ويحذّرهم من الاستغراق في الدنيا ونسيان الآخرة ويصوِّرلهم الموت الذي لامفرّمنه والحساب الذي سيواجهونه، ويدعوهم إلى الابتهال والضراعة عند أبواب الله ليغفرلهم خطاياهم، ودخل في هذا التيار موضوع الحبّ الإلهي والمدائح النبويّة ومدائح أهل البيت وأبدع فيه شعراء كثيرون، وامتدّ هذا اللون من الشعر إلى مشارف العصر الحديث. (المصدر نفسه،

صص١٠٣-١٠٤) وصار شعر الحب الإلهي والمدائح النبوية من أقوى الفنون الشعرية في العصر المملوكي والعصر العثماني وأوائل العصر الحديث.

وهناك شعر الفتوحات الإسلامية من عهد النبي (ص) إلى العصر العباسي وحتى إلى العهد المملوكي والعثماني، فيه كثير من المفاهيم الدينية والقيم الإسلامية. ويمكن أيضًا أن نجد في كثير من مدايح الأمراء والخلفاء –بغض النظر عن مبالغات الشعراء –مضامين إسلامية، مثل قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم، الخليفة العباسي، كما يمكن أن نجد في دراسة كثير من قصائد أبي تمام والبحتري والمتنبي وعلي بن الجهم وأسامة بن منقذ وابن الفارض وبهاء زهير وابن نباتة والبوصيري القيمَ الإسلامية.

وإذا أضفنا إلى النصوص الشعرية في هذه العصور، النصوص النثرية أيضًا مثل الخطابة والمواعظ والقصص، نحصل على قيم إسلامية أكثر، وندرك مدى عمق جذور العقيدة الإسلامية والقيم الدينية في التراث الأدبي العربي القديم.

وبذلك نرى أن الأدب العربي في عصوره المختلفة لم يخرج عن دائرة القيم الدينية والمفاهيم الإسلامية بالكلية، بل ظلّ ملتزمًا بالنهج الإسلامي ومتأثرًا بالمعطيات الدينية، «فيه روح إسلامية تتراوح بين القوة والضعف تبعًا لقوة الإيمان وضعفه، وصلاح أخلاق المجتمع وفساده. ولئن كان هناك إسراف في المجون في بعض الحقب التاريخية، كالذي شاع في عصر أبي نواس في المشرق وابن هانئ الأندلسي في الأندلس، فإنه يعدّ نتيجة طبيعية للترف الذي بلغته الحضارة الإسلامية في المشرق والمغرب» (رحماني، ٢٠٠٤، ج١، صص٤٥-٤٦).

هذا إذا نظرنا إلى «الأدب الإسلامي» باعتباره مادة أدبية، وأما إذا نظرنا إليه كمصطلح نقدي فإنه لم يطلق في تاريخ الأدب العربي إلاّ على صدر الإسلام، المرحلة التي «كان الناقد يجد نفسه أمام نوعين أو ثلاثة أنواع من العقائد والأفكار تسيطر على الأدب وهي: الجاهلية واليهودية والإسلام، وذلك كان –بالضبط –

في مرحلة التأريخ للنصوص الأدبية وجمعها، وقد تجلّى المصطلح أوّل ما تجلّى عند الناقد ابن سلام الجمحي» (المصدر نفسه، ج١، ص٤٩) ، حيث قسّم الشعراء في كتابه *طبقات فحول الشعراء* من جهة العقيدة إلى الجاهليين والإسلاميين وشعراء يهود المدينة. ثم اختفى بعد ذلك هذا المصطلح ولم يستخدمه النقاد في أدب العصور التالية، وذلك «لأنه لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ظهور هذا المصطلح في تلك القرون، كما أنه لم تكن هناك حاجة إلى ظهور مصطلحات مثل الاقتصاد الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والعمارة الإسلامية، والتربية الإسلامية وغيرها من المصلطحات التي يأتي الإسلام وصفًا مخصِّصًا لها» (محمد علي، ١٩٩١، ص٤٥)، لأن الشعور الإسلامي كان مسيطرًا على القلوب، والروح الإسلامية كانت قوية في النفوس، ولأنّ الصراع بين المصطلحات التي تقف موقف التناظر والتضاد إنّما ينشط تبعًا لقوّة الصراع الفكري والحضاري بين الإسلام والجاهلية وبين الإيمان والكفر، ويضعف لدرجة الاختفاء تبعًا لضعف الصراع الفكري والحضاري والعقائدي، ونعلم أنّ الحضارة الإسلامية في تلك العصور كانت في مستوى من القوة لا تجاريها أية من الحضارات حتى يكون هناك صراع حضاري وعقائدي.

وقد درج مؤرخو الأدب العربي في العصر الحديث أيضًا على هذا المنوال وضيّقوا دائرة مصطلح «الأدب الإسلامي» ولم يطلقوه إلاّ على صدر الإسلام. والسؤال الذي يطرح هنا هو: ما الذي بعث مصطلح «الأدب الإسلامي» في العصر الحديث من جديد؟ وما هو مفهوم الأدب الإسلامي؟

ومن الدراسات السابقة التي استفيد منها في هذه الدراسة: *مدخل إلى الأدب الإسلامي* لنجيب الكيلاني، و*مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي* لعمادالدين خليل، و*مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي* لعبد الباسط بدر، و*منهج الفن الإسلامي* لسيّد قطب و...

**٢ - نشأة مصطلح الأدب الإسلامي في الأدب العربي المعاصر:**

ظهر مصطلح «الأدب الإسلامي» في العصر الحديث في إطار الصحوة الإسلامية ومحاولة العودة إلى الذات بعد مرحلة الذوبان والهزيمة التي لحقت بالأمة الإسلامية في مرحلة الاستعمار العسكري والحضاري «كتحدٍّ ومقاومة للغزو الفكري والحضاري والثقافي» (رحماني، ٢٠٠٤، ج١، ص٥٠)، الذي ظهر في التيارات الأدبية في العالم العربي والإسلامي، بحيث انغمس الأدب في التصورات اليونانية الوثنيّة، والروح المسيحيّة، والتيّارات الفلسفية والمذهبية التي تموج بها الآداب الأوروبية قديمًا وحديثًا، وصار غريبًا عن الأمة الإسلامية في تصوراته وأخيلته ورؤيته للحياة والكون والإنسان وعالم الغيب والشهادة، ولم تعد المسألة كما كانت في ماضي الأدب العربي الجانح وصفًا للعورات وفحشًا في القول وقذفًا للمحصنات وإقذاعًا في الهجاء وغلوًّا في المديح ووصفًا لمجالس الشراب وغزلًا في المذكر ممّا يعدّ خروجًا على ضوابط الإسلام، بل تجاوز ذلك بمراحل كبيرة فارتدّ إلى الجذور نفسها يقتلعها من أساسها (محمد علي، ١٩٩١، ص٤٩)، و«تحوّل بعضه على يد المتغرّبين إلى دعوات فاجرة وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها، وصار جهدًا دؤوبًا لتأصيل القيم الغربية في الفن والحياة، ولم يقتصر التأثير على استعارة الأدوات الفنية أبدًا، بل امتدّ إلى الخلفيات الفكرية والفلسفية التي تصدر عنها المذاهب الأدبية الغربية» (بدر، ١٩٨٥، صص٥٦-٥٧).

فصوّر هذا النوع من الأدب الألوهية والنبوّة والآخرة بصورة لا علاقة لها بالإسلام، وكرّر في حديثه عن بداية الخلق، مقولات سفر التكوين، وتحدّث عن الأنبياء الماضين في إطار رؤية الكتاب المقدّس أو في إطار أسطوري لا حقيقة له فامتلأ من ألفاظ مثل الصليب والمسيح والخطيئة والفداء والصلب والخلاص وبقية مفردات العقيدة المسيحية، كما امتلأ من الأساطير اليونانية والبابلية والآشورية والمصرية والفارسية والهندية والصينية و...

وممّا زاد الطين بلّة «ظهور أعمال أدبية تعبث بالقيم الخلقية التي يحرص عليها الإسلام عبثًا شديدًا، وتصوِّر العفن والهبوط والنزوات الجنسية المحرّمة على أنها عواطف إنسانية رقيقة جديرة بالاهتمام، وتسوغ التحلّل والتفسّخ وتسعى إلى ترسيخه في أعماق الشباب والشابّات تحت ستار المشاعر العاطفية والحريّة الشخصيّة» (المصدر نفسه، ص٥٨).

وسط كل هذه التحديات ومع انبعاث الصحوة الإسلامية واستئناف كثير من المسلمين الحياة الإسلامية، ظهر مصطلح «الأدب الإسلامي» متميّزًا في المصطلح والمضمون ليطلق على الأدب الذي «يعبِّر عن الشخصية الإسلامية ويجسِّد تصوراتها عن الكون والحياة والإنسان في مواجهة آداب غصّت بها ساحاتنا الأدبية، تجسِّد تصورات فلسفية ومذهبية وعقائديّة وأيديولوجية غريبة عنّا غربة كاملة» (محمد علي، ١٩٩١، ص٥٦).

ويمكن أن نعتبر المرحلة التي أطلق عليها في العصر الحديث «الصراع بين القديم والحديث»، المرحلة التي طبعت الحياة الأدبية والفكريّة بتيّارين هامّين هما: تيّار التغريب والتبعيّة، وتيّار الأصالة الإسلامية، مرحلة تمهيدية نحو صياغة مصطلح يخصّ نظرة الإسلام للأدب والحياة، «فكان التغريبيّون قد عمدوا إلى ضرب الإسلام من حيث هو عقيدة ونظام حياة ومشروع حضاري بضرب أقوى وسائله وهي اللغة العربية، لأنها لغة القرآن، والأدب الإسلامي بصفته التعبير الفنّي الجميل عن الوجدانات الإسلامية» (رحماني، ٢٠٠٤، ج١، ص٥١). وتصدّى للرّد عليهم أصحاب تيّار الأصالة الإسلامية، فقال مصطفى صادق الرافعي في الرّد على جبران خليل جبران حينما ادّعى أنّ العدول عن لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أجدى لازدهار اللغة العربية: «فمتى كنت يا فتى! صاحب اللغة وواضعها ومنزّل أصولها ومخرج فروعها وضابط قواعدها... حتى يكون لك من هذا حق الإيجاد، ومن الإيجاد ما تسمّيه أنت مذهبك ولغتك... على أني رأيت لأصحاب

المذهب الجديد أصلًا في تاريخ الأدب العربي وكانت جذوره ممّن انتحلوا الإسلام وهم يدينون بغيره، وممّن كانوا يدينون به وتزندقوا فيه» (الرافعي، ١٩٨٣، صص١٥-١٩).

فيرى الرافعي أن أعداء اللغة العربية إنما يعادونها قديمًا وحديثًا، لأنهم أعداء للقرآن الكريم والدين الإسلامي؛ لأن «العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم» (المصدر نفسه، ص١٨).

وأكد على هذا شكيب أرسلان أيضًا حيث قال: «إن هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الإسلامية وتريد أن تتبدّل بها من كلام الجاهلية وكلام فصحاء العرب حتى من المخضرمين والمولدين وكل كلام لا يكون عليه مسحة دينية، هذه الفئة قد تعدّدت غاياتها في هذا المنزع ولكن قد اتّفقت في الوسائل، فمنها من لا يجهل بلاغة القرآن وجزالته وكونه من العربية بمنزلة القطب من الرحى، ولكنّه يدسّ الدسائس من طرف خفيّ لإقصائه عن دائرة الأدب العربي وتزهيد النشء فيه بحجّة كونه قديمًا وأن كلّ قديم هو بالٍ... ولكنّ منهم من لا يحاول هدم الأمّة في لغتها وآدابها، لا حبًّا باللغة والآداب، ولكن علمًا باستحالة تنصّل العرب من لغتهم وآدابهم، ولذلك ترى هؤلاء دعاة إلى اللغة والآداب على شرط أن لا يكون ثمّة قرآن ولا حديث وأن تكون الصيغة لا دينية وحجّتهم في ذلك حبّ التجدّد وكون القرآن والحديث وكلمات السلف كلها من القديم الذي لا يتلاءم مع الروح العصرية في شيء» (المصدر نفسه، صص٣٥-٣٧).

فيرى شكيب أرسلان أن التيّار الغربي يسعى لإقصاء القرآن والسنّة والتراث العربي القديم، التي تعتبر من مصادر الأدب الإسلامي، من ساحة الأدب العربي حتى تكون صيغته صيغة غير دينيّة تتلاءم مع روح العصر، ولا يخفى ما في هذا الكلام من ملامح ضمنيّة للأدب الإسلامي.

ولعلّ أوّل من أطلق مصطلح «الأدب الإسلامي» بمعناه الواسع ولم يضيّق دائرة

شموله في أدب حقبة زمنيّة معيّنة –أي عصر صدر الإسلام– ودعا إليه كمذهب أدبي ينبع من التصوّر الإسلامي للكون والإنسان والحياة، هو الأديب الناقد سيّد قطب حيث كان يكتب في الجريدة الأسبوعية التي يرأس تحريرها –جريدة الإخوان المسلمون– والتي صدر أول عدد منها في القاهرة في تاريخ ١٩٥٤/٥/٢٠م، ثم توقفت بعد إثني عشر عددًا عن الصدور بتاريخ ١٩٥٤/٨/٥م، مجموعة مقالات حول هذا المفهوم تحت عنوان «منهج للأدب»، ومنها مقالة بعنوان «منهج الأدب الإسلامي» (الخالدي، ١٩٩١، ص١٠٨) التي أدرجها بعد ذلك في كتاب «في التاريخ فكرة ومنهج» كما أدرجها في كتابه *النقد الأدبي أصوله ومناهجه* كنموذج للمقالة الأدبية. وقد نبّه في هذه المقالة إلى وجود «أدب إسلامي» متميّز منبثق من التصوّر الإسلامي و«ناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية» (قطب، ١٩٩١، ص٢٨).

ثم أطلق هذه الفكرة محمد قطب، حيث ألّف كتابه *منهج الفن الإسلامي* وتطرّق فيه إلى الأدب الإسلامي كجزء من الفن الإسلامي، فكان كتابه أوّل كتاب نشر في هذا الموضوع.

ثم جاء الأديب الشاعر والروائي الدكتور نجيب الكيلاني فألّف كتابه *الإسلامية والمذاهب الأدبية* سنة ١٩٦٢م وأصدره سنة ١٩٦٣م ليعمِّق نظرية «الأدب الإسلامي» ومفهومه بناءً على الإنتاجات التي صدرت في تاريخ الأدب العربي القديم والحديث، وكان اهتمامه الأساسي بالأدب الإسلامي قبل ذلك، حينما قرأ أشعارًا للشاعر الفيلسوف محمد إقبال، وكتب عنه سنة ١٩٥٦م كتابًا تحت عنوان *إقبال الشاعر الثائر* وأصدره سنة ١٩٥٩م (الكيلاني، ١٩٩٢، صص٢٢-٢٣)

وقد استخدم الدكتور الكيلاني في كتابه *الإسلامية والمذاهب الأدبية* مصطلح «الإسلامية» كمذهب أدبي للأدب الإسلامي، وهو مصطلح يضاهي مصطلحات مثل الكلاسيكية، والرومانسية والواقعية والرمزية وغيرها من

المذاهب الأدبية الغربية ولكن لم يتلقَّ هذا المصطلح قبولًا عند النقاد والأدباء الإسلاميين ولذلك لم نره بعد ذلك عنوانًا لدراسات أخرى في هذا الموضوع وحتى نجيب الكيلاني نفسه قد هجر هذا المصطلح وآثر مصطلح «الأدب الإسلامي» في كتابه *مدخل إلى الأدب الإسلامي* الذي صدر عام ١٩٨٧م.

ومن أهم الدراسات بعد ذلك في هذا المجال، هي مؤلفات الدكتور عمادالدين خليل مثل *في النقد الإسلامي المعاصر* الذي صدر عام ١٩٧٢، و*محاولات في النقد الإسلامي* الذي صدر عام ١٩٨١م.

### ٣ - مفهوم الأدب الإسلامي:

اختلفت الآراء في تحديد مفهوم «الأدب الإسلامي» وتعيين إطار محدّد له، فقد طرح الدكتور محمد مصطفى هدارة في مقال له بعنوان: «الالتزام في الأدب الإسلامي» عدة تعريفات أولية لمفهوم الأدب الإسلامي، فقال: «فقد يرى بعض الباحثين كلّ أدب صادر عن أديب مسلم يعدّ أدبًا إسلاميًّا، وقد يرى آخرون أن كلّ أدب فيه ذكر الإسلام هو أدب إسلامي، وربّما رأى فريق ثالث أن الأدب الإسلامي هو ما ينبغي أن يتناول مفهومًا من مفاهيم الإسلام، أو الذي تتمثّل فيه المعاني القرآنية وأقوال الرسول(ص) وصلحاء الأمة (رض)». (هدارة، ١٩٩٢، ص١٦٢)

فلا يُرى في هذه التعريفات تحديد دقيق لمفهوم «الأدب الإسلامي»، ففي التعريف الأول مثلًا يمكن أن يطلق الأدب الإسلامي على معظم الأدب الذي أنتج منذ بداية الإسلام إلى يومنا هذا، باعتبار أن غالبية الأدباء في تاريخ الأدب العربي مسلمون «ولكنّ ما يحدث في الساحة الإسلامية هو أننا نرى نتاجًا أدبيًا غير إسلامي تمامًا، ممّا يجعل الفكرة التي تعدّ الأدب الإسلامي هو كل ما أنتج تحت المظلّة الإسلامية غير صحيحة، إذ أن بعض ذلك ينتمي روحيًا وفكريًا إلى معتقدات

وأيديولوجيات مناقضة للإسلام». (رحماني، ٢٠٠٤، ج١، ص١٦٦) .

وفي التعريف الثاني يشمل الأدب الإسلامي كل أدب ورد فيه ذكر الإسلام وإن كان معارضًا لمبادئ الدين الإسلامي.

وأما التعريف الثالث فيجعل الأدب الإسلامي مقيّدًا بأسس وقواعد مسبقة، حيث يضع الأديب أمامه تراث الإسلام من قرآن وسنّة وأقوال الصحابة، ثم ينتج على أساسها أدبه، وهذا يتعارض مع معنى الأدب الذي هو التعبير عن تجربة الأديب الشعورية الناتجة عن موقف محدّد له تجاه الكون والحياة والإنسان بصورة موحية.

ولذلك حاول الأدباء والنقّاد الإسلاميّون أن يعرّفوا «الأدب الإسلامي» تعريفًا جامعًا مانعًا، ويحدِّدوا مفهومه ويعيّنوا معالمه وخصائصه حتى يمكن تمييز الأدب الإسلامي عن غيره.

فحاول سيّد قطب بعد أن عرّف الأدب بمفهومه العام بأنه «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية» ورأى أنّ «هذا التعريف للعمل الأدبي أوفى ما يكون بالدلالة على جميع خصائصه المشتركة في فنون الأدب جميعًا»، أن يعرّف الأدب الإسلامي بمفهومه الخاص ومع مراعاة قيد «الإسلامي»، فقال في مقالة له تحت عنوان «منهج الأدب الإسلامي» التي أشرنا إليها سابقًا: «الأدب كسائر الفنون تعبير موحٍ عن قيم حيّة ينفعل بها ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنّها في كل حال تنبثق من تصوّر معيّن للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض، وكلّ تصوّر خاص للحياة وللارتباطات فيها بين الإنسان والكون، من شأنه أن ينشيء قيمًا تتأثّر بها الآداب والفنون، سواء شعر أصحابها أنهم متأثّرون بهذه القيم أو لم يشعروا. والإسلام تصوّر معيّن للحياة تنبثق منه قيم خاصة لها، فمن الطبيعي إذن أن يكون التعبير عن هذه القيم أو وقعها في نفس الفنان ذا لون خاص، وأهم خاصية للإسلام أنه عقيدة ضخمة جادة فاعلة خالقة منشئة تملأ فراغ النفس والحياة وتستنفد الطاقة البشرية في الشعور والعمل والوجدان

والحركة». (قطب، ١٩٩١، صص١١-١٥) .

فقد جعل سيد قطب في هذا التعريف التصوّر الإسلامي أهم خاصية للأدب الإسلامي باعتبار أنها أهم خاصية للإسلام، كما اعتبر الواقعية والالتزام والصدق أيضًا من خصائصه.

ويستبعد سيّد قطب أن يؤدي كون الأدب الإسلامي واقعيًّا وملتزمًا وصادقًا إلى الوقوع في الخطابية والمباشرة ويقول: «وليست الخطب الوعظية هي سبيل الأدب أو الفن المنبثق من التصوّر الإسلامي، فهذه وسيلة بدائية وليست عملًا فنيًّا بطبيعة الحال» (المصدر نفسه، ص١٨)، كما أنه لا يقبل حصر دائرة الأدب الإسلامي في مضامين محدّدة ويقول: «وليس الأدب الإسلامي هو وحده الذي يتحدّث عن الإسلام أو عن حقبة من تاريخه أو عن شخص من أشخاصه، إنما هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية». (المصدر نفسه، ص٢٨)

فهذا التعريف خاص بالأدب الإسلامي من حيث إنّه تعبير عن تجربة شعوريّة ناشئة عن القيم الإسلامية والتصوّر الإسلامي للكون والحياة والإنسان بوسيلة تعبيرية لها لون خاص. وفي هذا التعريف يرى سيد قطب أنّ الأدب الإسلامي أدب متميّز شكلًا ومضمونًا وهدفًا ولكن دون أن يحدِّد غرضه من الشكل الخاص بالأدب الإسلامي.

وعرّف محمّد قطب الفن الإسلامي –والأدب جزء منه– فقال: «هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان». (قطب، ١٩٨٧، ص٦) .

فقد أكّد محمد قطب في تعريفه هذا على «التعبير الجميل» و«التصور الإسلامي» باعتبار أنّ «التعبير الجميل» هو إحدى الخواص المميّزة التي تحدِّد مفهوم الأدب الإسلامي ويفصلها عن أسلوب الوعظ والإرشاد والفلسفة والتصوّف وغير ذلك، وأنّ «التصوّر الإسلامي» هو الذي يحدِّد إسلامية الأدب الإسلامي ويميّزه عن الآداب الأخرى، فلابدّ من وجود هذين العنصرين في الفن والأدب حتى يكونا

إسلاميّين وإلاّ «فلا يكفي أن يكون الإنسان مسلمًا لكي ينشئ فنًّا إسلاميًّا تتحقّق فيه شروط الفن، وليس يكفي بطبيعة الحال أن يكون فنّانًا –أيّ فنان– ليصل إلى التعبيرعن الفنّ الإسلامي». (المصدر نفسه، ص١٨١)

وركّز على هذين العنصرين عبدالرحمن رأفت الباشا أيضًا في تعريفه للأدب الإسلامي وقال: «هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرًا ينبع من التصوّر الإسلامي للخالق عزّ وجلّ ومخلوقاته». (رأفت الباشا، ١٩٨٥، ص٩٢).

وردّد الدكتور عماد الدين خليل ما قاله محمد قطب في تعريف الأدب الإسلامي مع ذكر الأداة التي يستخدمها الأديب وهي اللغة، فقال: «يمكن تعريف الأدب الإسلامي بإيجاز بالغ بأنه: تعبير جمالي مؤثّر بالكلمة عن التصوّر الإسلامي للوجود».( خليل، ١٩٨٨، ص٦٩) وقرّر أن «التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة» و«التصوّر الإسلامي للوجود» ركنان أساسيّان لابدّ من وجودهما بكلّ عناصرهما الفرعية حتى يتحقّق مفهوم الأدب الإسلامي بحيث إنّ «أي إغفال لواحد من هذين الركنين، وأي تجاهل لإحدى العناصر الفرعية التي يتضمّنانها سوف يخرج بالعمل الأدبي –ولا ريب– عن كونه أدبًا إسلاميًّا. إننا حينئذٍ سوف نلتقي بشروح (غيرفنية) لهذا الجانب أو ذاك من الإسلام تصوّرًا أو سلوكًا، وهذا ليس أدبًا إسلاميًّا بحال من الأحوال، وقد نلتقي بعرض فنّي جميل مؤثّرلكنّه لا يصدرعن التصوّرالإسلامي ولا يمسّه من قريب أو بعيد، فهو ليس أدبًا إسلاميًا بحال من الأحوال. وقد نلتقي بعمل يتضمّن قدرًا من المعطيات الجمالية المؤثّرة –بأداة أخرى غيرالكلمة –فهو أيضًا ليس أدبًا إسلاميًّا ولكنّه قد يكون فنًّا إسلاميًّا، وقد نلتقي بتعبيرجميل عن الإسلام ولكنه لا يملك قدرته على التوصيل أو التأثير، لأنه لا يتجاوز الشكل إلى المضمون، ولا يعدو أن يكون زخرفًا من القول وليس أدبًا إسلاميًا». (المصدر نفسه، ص٦٩)

والملاحظة المشتركة بين هذه التعريفات كلِّها بتأكيدها على التعبير الفني

الجميل والتصوّر الإسلامي، هي أنها قد ركّزت على التعبير والأثر الأدبي ولم تشر إلى صاحب التعبير وهو الأديب المبدع، ممّا جعل بعض الدارسين يتحيّرون إزاء نصوص إبداعية فنّية تتّفق كلّيًا أو جزئيًا مع التصوّر الإسلامي وهي لغير المسلمين.(بريغش، ١٩٩٢، ص١٠٨)

وقد أثارت هذه القضيّة مناقشات بين النقّاد الإسلاميّين، حيث اختلفوا في أنه هل يوجد ارتباط للعمل الأدبي بصاحبه خلال الحكم على إسلاميته أو عدمها، أو لا؟ وبعبارة أخرى إذا كان هناك عمل أدبي أو مجموعة أعمال، تحمل رؤية إسلامية وتلتقي هموم الأدب الإسلامي وتوجّهاتها في كليّاتها، فهل يُبيح هذا للناقد الإسلامي أن يصنِّفها ضمن المعطيات الإسلامية رغم أن صاحبها قد يكون في فكره وسلوكه بعيدًا عن الإسلام وقيمه وربّما في تعارض معها؟ (خليل، ١٩٨٨، ص٢١٣)

فذهب محمد قطب إلى أنّ هذا النوع من الأدب يمكن تصنيفه ضمن المعطيات الإسلامية وإدخاله في دائرة الأدب الإسلامي، حيث اختار نصوصًا من أدباء غير مسلمين كنماذج للأدب الإسلامي، فذكر في قسم من كتابه تحت عنوان *في الطريق إلى أدب إسلامي* إلى جانب محمد إقبال، الشاعر الإسلامي الباكستاني، وعمر بهاء الدين الأميري، الشاعر الإسلامي السوري، نصًّا من طاغور، الشاعر الهندي وهو يعلم أنّ «طاغور ليس مسلمًا بطبيعة الحال والطابع الهندوكي واضح فيه شديد الوضوح» (قطب، ١٩٨٧، ص١٩٩)، وذكر نصًّا آخر للكاتب الإيرلندي «جون ميلينجتون سينج» وهو يعلم «أنه غير مسلم وأنّ مسرحيّته تحمل طابعًا مسيحيًّا واضحًا شديد الوضوح». (المصدر نفسه، ص٢١٢)

ويحاول محمد قطب أن يبرِّر اختيار نصوص لهذين الكاتبين غير المسلمين كنماذج للأدب الإسلامي ويقول: «والفنّ الإسلامي ينبغي أن يصدر عن فنّان مسلم، أي إنسان تكيّفت نفسه ذلك التكيّف الخاص الذي يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة والواقع بمعناه الكبير وزوِّدت بالقدرة على جمال التعبير، وهو في الوقت ذاته إنسان يتلقّى الحياة كلّها من خلال التصوّر الإسلامي

وينفعل بها ويعانيها من خلال هذا التصوّر ثم يقصّ علينا هذه التجربة الخاصة التي عاناها في صورة جميلة موحية... ومع ذلك فإنّ التصوّر الفنّي الإسلاميّ للكون والحياة والإنسان هو تصوّر كوني إنساني، مفتوح للبشرية كلِّها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان ويلتقي معه كذلك من حيث هو إنسان ومن ثمّ يستطيع أيُّ إنسان أن يتجاوب مع هذا التصوّر ويتلقّى الحياة من خلاله –بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي وذلك التجاوب– فيلتقي مع الفن الإسلامي بذلك المقدار، ومن أجل ذلك لم نقصر النماذج التي أخذناها من بواكير الأدب الإسلامي على المسلمين من الفنّانين، بل اخترنا إلى جانبها نماذج من فنّانين غير مسلمين، لأنها تلتقي –التقاءً جزئيًا على الأقل– مع التصوّر الإسلامي، وتصلح بذلك أن تسير مع المنهج الإسلامي للفن في هذه الحدود» (المصدر نفسه، ص٢١٢)

وفي هذا الاستدلال يُرى نوع من الاضطراب والتناقض، لأنه قال في البداية: إنّ الفنّ الإسلامي لا يصدر إلاّ عن الفنّان المسلم، ثمّ اختار نماذج للأدب الإسلامي من أدباء وفنانين غير مسلمين بحجّة أنها تلتقي جزئياّ مع التصوّر الإسلامي.

وأيّد الدكتور عماد الدين خليل في كتابه *في النقد الإسلامي المعاصر* رأي محمد قطب واختار هو أيضًا مسرحية *مركب بلا صيّاد* للكاتب الإسباني «أليخاندروكاسونا» ليضعه في صف الأدب الإسلامي على حد تعبيره، وقال في بيان ملامح الفن الإسلامي في المسرحية: «في مسرحية *مركب بلا صيّاد* يلتقي الشعر بالخيال الجميل بالإيمان، ويتعانق الفنّ والحياة في تكوين رائع هادف، ويتقابل قدر الله وإرادة الإنسان في تناغم وجداني مؤثّر... في مسرحية *مركب بلا صيّاد* نجد نموذجًا للأدب والفن اللَّذَين ينبثقان عن تصوّر إيماني للحياة والعالم والأشياء دون اعتساف ولا مباشرة ولا روح تعليميّة». (خليل، ١٩٨٧، ص٦٩).

وفي ختام دراسة هذه المسرحيّة علّق على قول محمد قطب واستحسنه ودعا الأدباء والفنانين الإسلاميين لمواصلة مسيرته وقال: «لقد فتح محمد قطب الباب على مصراعيه وبدأ الطريق فاختار نماذج من الأدب الإسلامي للشاعر الهندي

طاغور وللكاتب المسرحي الإيرلندي ج.م.سينج. وعلى الأدباء والفنّانين الإسلاميّين أن يواصلوا المسير». (المصدر نفسه، ص٩٩)

ولكن وصل الدكتور عماد الدين خليل في كتابه *مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي* إلى أنّ الموضوع ينطبق عليه مبدأ «تكافؤ الأدلّة» ولا يمكن ترجيح رأي على آخر مع أنه أبدى في النهاية ميله إلى رأي محمد قطب وقال: «ولن يكون سهلًا ميسورًا أن نرجّح هذا الرأي أو ذاك، وإذا كنّا قبل قليل قد أشرنا إلى المبرِّرات، فماذا يمكن أن نقول إزاء المبرِّرات المضادّة، وهل يمكن دفعها وتفنيدها؟ ... إنها معضلة (تكافؤ الأدلّة) ولن يستطيع المرأ أن يحسمها بسهولة وإن كنت لا أزال أميل إلى الرأي الأوّل». (خليل، ١٩٨٨، صص٢١٨-٢١٩)

والسؤال الذي يطرح هنا هو أن محمد قطب والدكتور عماد الدين خليل مع تركيزهما في تعريف الأدب الإسلامي على ارتباط الأدب الإسلامي بالتصوّر الإسلامي وطبيعة إدراكه للكون والحياة، كيف يسوِّغان أن يعدّا أدبًا واضح الهندوكية وواضح المسيحيّة ضمن اختيارات الأدب الإسلامي؟!

وذهب بعض الدارسين إلى ارتباط العمل الأدبي بصاحبه خلال الحكم على إسلاميته أو عدم إسلاميته بحيث لا يعتبرون أي عمل أدبي أدبًا إسلاميًّا إلاّ إذا صدر عن أديب مسلم ملتزم، ولذلك اعتبر الدكتور نجيب الكيلاني هذا القيد في تعريف الأدب الإسلامي وقال: «الأدب الإسلامي تعبير فنّي جميل مؤثّر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما». (الكيلاني، ١٩٨٧، ص٣٦) .

فهذا التعريف وإن لم يخرج عن روح ما ذكره سيد قطب ومحمد قطب في تعريف الأدب الإسلامي إلاّ أن نجيب الكيلاني قد زاد عنصرين لم يشر إليهما السابقان وهما «إيمان الأديب والجمع بين المتعة والمنفعة»، فهو يرى أنّ «الأديب الإسلامي لا يمكن أن يصدر إلاّ عن ذات نعمت باليقين، وسعدت بالاقتناع،

وتشبّعت بمنهج الله، ونهلت من ينابيع العقيدة الصافية ومن ثم أفرزت أدبًا صادقًا»، (المصدر نفسه، ص٣٦) كما يرى أنه لا حرج في بعث الأدب الإسلامي للمتعة والتسلية مادامت مشروطة بالعقيدة الصحيحة ولم يصطدم بالأسس العقائدية للأديب المسلم.

واعتبر الدكتور عدنان علي رضا النحوي، الأدب الإسلامي ثمرة من ثمرات الإيمان يصدر عن أديب مسلم وقال: «فالأدب الإسلامي هو ثمرة من ثمرات الإيمان وعطاء من عطاء الفطرة السويّة السليمة، يسير في درب الإيمان وينهج نهجه ... والأدب الإسلامي يحتاج إلى الأديب المسلم الملتزم بعقيدته إيمانًا وعلمًا وممارسة وسلوكًا». (النحوي، ١٩٩٤، صص٢٦-٢٧)

وسار على هذا الخط النقدي أيضًا محمد حسن بريغش، إذ عرّف الأدب الإسلامي بأنه هو: «التعبير الفنّي الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصوّر الإسلامي». (بريغش، ١٩٩٢، ص١١٤)

وهذا الناقد أكثر وضوحًا في موقفه من الأدب الذي أنتج على غير التصور الإسلامي ومن غير الأديب المسلم، إذ يرفضه شكلًا ومضمونًا، لأنه ينبثق عن تصوّرات غير إسلامية فيكون بعيداً عن الإسلام، لأنّ «الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبّر عن التصوّر الإسلامي في الحياة بكلّ أبعادها وألوانها، وهو الأدب الذي يحمل رأي الإسلام ويوافق شرع الإسلام ولا يخرج عن إطاره مهما تكن الأسباب، ولذلك لا أتصوّر أدبًا إسلاميًا ينتجه ملاحدة، أو فسدة مارقون من الدين، أو مادّيون خبثاء، ولا أتصوّر أدبًا إسلاميًّا ينتجه الضائعون الذين تلتبس عليهم الصورة فيخلطون بين الوثنية والإسلام، ويخلطون بين شرع الله وتخبّطات البشر في الآراء والفلسفة، ... الأدب الإسلامي أدب ينبع من الإسلام والمسلمين له سماته وله صوره وله أشكاله وأساليبه، قد يلتقي مع هذا المذهب أو ذاك في نقطة أو نقاط ولكنّه يبقى إسلاميًّا ويبقى ذاك غير إسلامي». (بريغش، ١٩٩٨، ص٩٤)

وقد نبّه الدكتور مصطفى عليان إلى خطورة اختلاط مفهوم الأدب الإسلامي

بغيره وعدم تحديد مفهومه وقال: «وفي دلالة الأدب الإسلامي على الشخصية الإسلامية يحترس من نصوص لأدباء غير مسلمين تحمل رؤية فكرية موافقة للإسلام وامتلاءً شعوريًّا بالإنسانية وحبِّها لأنها تفقد الأسس التي يقوم عليها الأدب بالمفهوم الذي قدّمنا وهو أنّ الإسلامية في الأدب تصوّر فكري في تعبير أدبيّ لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وإنما نلمسها في التميّز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التعبير عن صدى القيم في النفس تعبيرًا حيويًّا منبثقًا من التصوّر الإسلامي». (عليان، ١٩٨٥، صص١٢-١٣)

وربّما نشأت هذه المشكلة من الخلط بين أمرين، بين قبول الأدب وبين كون الأدب إسلاميًّا أو غير إسلاميّ، فالأدب يقبل حتى ولو صدر من غير مسلم بشرط أن يكون فيه إعلاء قيم إنسانية رفيعة وفيه إبداع حقيقي، فيمكن أن نتعامل معه ونتعلّمه ونستفيد منه دون أن يجبرنا هذا على أن نسمّيه بالأدب الإسلامي.

وممّا تقدّم نصل إلى أنّ الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يصدر عن الأديب المسلم الذي يستمدّ مبادئه وأسسه في كل ما يكتب من المصادر الإسلاميّة الأصيلة ويستلهم روح الأدب من منهل الثقافة الإسلامية الأصيلة، ويتلقّى الحياة من خلال التصوّر الإسلامي لها، وينفعل بها في إطار القيم الإسلامية، ثم يعبِّر عنها بصورة فنّية موحية، وأما الأدب الغير المنبثق من التصوّر الإسلامي، الذي لا يتعارض مع التصوّر الإسلامي أو يتوافق معه في ناحية أو أكثر فلا يطلق عليه مصطلح الأدب الإسلامي بالمفهوم الذي قدّمناه «لأن هناك فرقًا أساسيًا بين تقاطع الآداب أو بعض نصوصها وبين تطابقها، فالتطابق هو وحده الذي يسوِّغ الانتماء والاحتواء، أما التقاطع فيؤدِّي إلى قبول النصِّ واستحسانه، دون أن نصفه بالإسلامية». (رحماني، ٢٠٠٤، ج١، ص١٦٢) ويمكن أن نعتبر هذا النوع من الأدب، الأدب الموافق للإسلام.

وهناك نوع آخر من الأدب لا يحمل سمات معيّنة تقرِّبه من الأدب الإسلامي ولا

يحمل أيضًا سمات تتعارض معه وتسير منه في اتجاه مضاد، فيمكن اعتبار هذا النوع من الأدب الأدب المحايد، وبذلك يمكن الاحتراز عن الخلط بين الأدب الإسلامي وغير الإسلامي.

### ٤ - خاتمة البحث

وقد وصلت الدراسة إلى نتائج يمكن تلخيصها كما يلي:

١- الأدب الإسلامي باعتباره مادة أدبية تصوّر روح الإسلام وتعبّر عن الفكر الإسلامي وتفصح عن هموم المسلمين وآمالهم كان موجودا في الأدب العربي منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، ولم يخرج الأدب العربي في يوم من الأيام في عصوره المختلفة عن دائرة القيم الدينية والمفاهيم الإسلامية بالكلية.

٢- الأدب الإسلامي باعتباره مصطلحًا أدبيًا لم يطلق في تاريخ الأدب العربي إلاّ على أدب صدر الإسلام.

٣- يمكن أن تعتبر المرحلة التي أطلق عليها في العصر الحديث «الصراع بين القديم والحديث» مرحلة تمهيدية نحو صياغة مصطلح يخصّ نظرة الإسلام للأدب.

٤ - لعلّ أول من أطلق مصطلح «الأدب الإسلامي» بمعناه الواسع ولم يضيّق دائرة شموله في أدب حقبة زمنية معينة-عصر صدر الإسلام- ودعا إليه كمذهب أدبي ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، هو الأديب الناقد سيد قطب في مقال له بعنوان «منهج الأدب الإسلامي» سنة ١٩٥٤، ثم أتبع هذه الفكرة كل من محمد قطب وو نجيب الكيلاني وعماد الدين خليل و....

٥- «الأدب الإسلامي» كمذهب أدبي هو التعبير الفنّي الجميل المؤثّر بالكلمة عن تجربة الأديب الشعورية من خلال التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، وأن «التصور الإسلامي» هو الذي يحدّد إسلامية «الأدب الإسلامي» ويميّزه عن غيره كما أن «التعبير الجميل» يحدّد فنّيته ويميّزه عن أسلوب الوعظ والإرشاد والفلسفة و....

**المصادر والمراجع**


- بدر، عبد الباسط، (١٩٨٥). *مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي*، الطبعة الأولى، جدة: دارالمنارة.
- بريغش، محمد حسن، (١٩٩٢). *الأدب الإسلامي أصوله وسماته*، الطبعة الأولى، عمان: دارالبشير.
- بريغش، محمد حسن، (١٩٩٨). *في الأدب الإسلامي المعاصر*، الطبعة الأولى، بيروت: الرسالة.
- خليل، عماد الدين، (١٩٨٧). *في النقد الإسلامي المعاصر*، الطبعة الرابعة، بيروت: الرسالة.
- خليل، عماد الدين، (١٩٨٨). *مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي*، الطبعة الثانية، بيروت: الرسالة.
- رأفت الباشا، عبدالرحمن، *نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد*، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٥.
- الرافعي، مصطفى صادق، (١٩٨٣). *تحت راية القرآن*، الطبعة الثامنة، بيروت: دار الكتاب العربي.
- رحماني، أحمد، (٢٠٠٤). *النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق*، الطبعة الأولى، الرياض: مركز ملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- عليان، مصطفى، (١٩٨٥). *مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي*، الطبعة الأولى، جدة: دارالمنارة.
- قطب، سيّد، (١٩٩١). *في التاريخ فكرة ومنهاج*، الطبعة التاسعة، بيروت: دارالشروق.
- قطب، محمد، (١٩٨٧). *منهج الفن الإسلامي، الطبعة السابعة*، بيروت: دار الشروق.
- الكيلاني، نجيب، (١٩٨٧). *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، بيروت: الرسالة.

- الكيلاني، نجيب، (١٩٩٢). *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، الطبعة الثانية، بيروت: دار ابن حزم.
- محمد علي، أحمد، (١٩٩١). *الأدب الإسلامي ضرورة*، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الصحوة.
- النحوي، عدنان علي رضا، (١٩٩٤). *الأدب الإسلامي إنسانيّته وعالميّته*، الطبعة الثالثة، الرياض: دار النحوي.
- هدارة، محمد مصطفى، (١٩٩٢). *الالتزام في الأدب الإسلامي*، (ضمن بحوث ندوة الأدب الإسلامي)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.